

## كيف تخلصت السياسة الانجليزية من خصومها بعد ضرب الاسكندرية

ضربت انجلترا ضربتها الاولى في ١١ يولييه تحت تأثير الاطماع الاستعمارية وهي عالمة بخطورة هذه الضربة وقسوة حكم التاريخ عليها لفظاعتها ولما فيها من خرق قوانين العدالة وتقاليد الحروب واحكام المعاهدات والاتفاقات الدولية. وقد كانت هذه الضربة فاتحة لسياسة جديدة يراد تنفيذها الى النهاية وهي سياسة الانفراد بالعمل في مصر ولكن يظهر ان صدى هذه المأساة في أوروبا أحدث تأثيراً سيئاً عاماً فانزعجت انجلترا نفسها وأرادت أن لا تخطو خطوة أخرى الى الامام بمفردها خوفاً من اغضاب بعض الدول الاوربية فاخترت لنفسها خطة جديدة هي خطة الملاينة والمحاسنة حيال دول أوروبا وأظهرت من جهة أخرى أنها تريد الاعتماد على مؤتمر الاستانة لحل مشكلة مصر كما أظهرت أنها لا تبغى الانفصال عن فرنسا بل على العكس تريد أن تعمل معها الى جانبها نعم ان السياسة الانجليزية كانت تعلم حق العلم ان اشتراك الغير معها في مسألة مصر يعرقل مساعيها الاستعمارية ويحول دون تحقيق الغاية التي تطمح اليها ولكنهم لم تجد محيصاً من أن تظهر في هذا المظهر مظهر الكاره للاستئثار والانفراد المحب للاشتراك والاتفاق مع المجموع الاوربي الذي كان يملك وحده التدخل في شئون مصر

ظاهرت انجلترا في هذا المظهر الخداع دون أن تدع الفرصة تضيع فقد كان ساستها يعملون في الخفاء ليحملوا الدول على أن يكون التنحي

من جانبها هي لا من جانب إنجلترا وتكون النتيجة ان إنجلترا تعود الى العمل  
بسياسة الافراد لا من تلقاء نفسها ولكن بسبب انسحاب الغير من  
ميدان العمل

على ان الظروف نفسها كانت في مصاحبة إنجلترا من بعض الوجوه  
وقد عرف ساستها كيف يستفيدون من هذه الظروف لتحقيق اطماعهم  
واذا نظرنا الى العوامل التي كان لها أثر في المسألة المصرية وقتئذ  
وجدنا ان أهم العقبات التي كان من شأنها عرقلة السياسة الانجليزية كانت  
تأتي من قبل فرنسا أولا وتركيا ثانيا  
ولنبحث الآن كيف تخاصمت السياسة الانجليزية من هذه العقبات

## سياسة فرنسا

### في المسألة المصرية

لم تكن سياسة فرنسا في المسألة المصرية خلال الحوادث العراقية  
على شيء من الحكمة والحزم وذلك راجع الى عدة أسباب  
اولا - ضعف القابضين على زمام السياسة الخارجية الفرنسية  
ثانيا - كثرة تقاب الوزارات وتغير وزراء الخارجية  
ثالثا - عدم اهتمام فرنسا بشؤون الشرق وقتئذ لان فكرها كان  
منصرفا الى ألمانيا لقرب عهدا بالحرب السبعينية التي حلت فيها الهزيمة  
بجنودها فكانت تخشى اذا هي وجهت عنايتها الى الشرق واشتبكت في

أى حرب تقع فيه أن تعتمد المانيا الى انتهاز الفرصة والى معاودة الهجوم عليها  
ولقد فقدت مصر نصيراً لها في شخص جيمتا الذي يذهب كثير من  
المؤرخين الى أنه لو بقي قابضاً على زمام السياسة الفرنسية في ذلك العصر  
لتطورت المسألة المصرية تطوراً آخر يعرقل مساعي إنجلترا

ولذلك ما كاد هذا الوزير يقبض على زمام حكومته في أواخر عام  
١٨٨١ حتى بادر الى فتح باب المسألة المصرية مع إنجلترا وقد كانت الحكومة  
الانجليزية تخشى الدخول معه في هذا الميدان واحس اللورد جرنفيل وقتئذ  
بأنه اذا قبل مناقضته خرجت السياسة الانجليزية من هذه المناضلة مهزومة  
وضاعت مصر من يدها فأخذ الوزير الانجليزي يماطل ويسوف وقد  
ساعدته على هذه الماطلة أنه كان عالماً تمام العلم بموقف الاحزاب في فرنسا  
وان جيمتا لا يلبث ان يسقط فيستريح منه ومن معانده وقد سقط الوزير  
فعلاً في أواخر يناير سنة ١٨٨٢ فخلا الجو للسياسة الانجليزية ولا سيما ان  
السيو فرسينيه هو الذي تولى شئون الحكم ولبث في رئاسة الوزارة  
الفرنسية الى ٢٩ يوليه من العام نفسه

ولاشك ان إنجلترا صفقت طرباً لهذا التعيين فقد كانت مدة وزارة  
فرسينيه هذه هي اشد الازمنة سوءاً على فرنسا وعلى مصر بينما كانت  
خيراً وبركة على إنجلترا وسياستها حتى ذهب بعض المغالين الى اتهام فرسينيه  
بأنه كان رجل إنجلترا وخادم مصالحها ولكن الكثيرين يذهبون الى  
ضعف فرسينيه وتردده وتقلبه هو الذي جعل سياسته شؤماً على بلاده  
فقد كان له في كل يوم رأى يخالف رأيه السابق وتكفي مجرد نظرة بسيطة  
الى الكتب الزرقاء والصفراء للوقوف على نموذج من هذه الانقلابات الغريبة

وفي ٣ فبراير سنة ١٨٨٢ كان فرسينيه يرى عدم القيام بأى تدخل  
في مصر

وفي ٦ منه كان من أنصار التدخل الاوربي  
وفي ١٢ مايو كان يرى ان تتدخل فرنسا وانجلترا وحدهما  
وفي ٢٥ مايو كان متردداً في مطالبة الباب العالي بارسال جنود الى  
مصر وفاقا لا اقتراح اللورد جرنفيل في ٢٤ مايو  
وفي ٢٧ مايو كان ضد هذا الرأي  
وفي ٢٩ منه عاد فقبل اشترك الباب العالي في العمل مع انجلترا وفرنسا  
وفي ٣٠ منه اقترح عقد مؤتمر اوروبي  
وفي ٣ يونيه كان رأيه ان ترسل تركيا وحدها جنوداً الى مصر  
وفي ٥ و ٧ يونيه عدل عن هذا الرأي  
وفي ١٧ يونيه عاد الى القول به  
وفي ٢٤ يونيه رفض أن يتدخل لحماية قناة السويس  
وفي ٥ يوليه رفض أن يتدخل مع انجلترا في مصر  
وفي ١٥ يوليه رأى أن يعمل مع انجلترا في قناة السويس  
وفي ٢٧ يوليه لم يقبل تدخل تركيا وحدها  
وفي ٢٩ يوليه عاد فقبل التدخل مع انجلترا لحماية قناة السويس وطلب  
من مجلس النواب الفرنسي فتح اعتمادات لتنفيذ هذه الخطة  
هذا هو الرجل الذي كان قابضاً على سياسة فرنسا ومصير مصر في  
الوقت الذي كانت فيه انجلترا تعمل على أن تنشب أظافرهما في مصر وأبنائها  
ولقد حاول جمتنا ان يصحح سياسة فرسينيه فلم يفلح وذلك عند

ما صرح الاخير في مجلس النواب يوم ١٨ يولييه بأن فرنسا ترفض رفضاً باتاً ان تتدخل مع انجلترا حربيًا في مصر وقد ألقى جمبتا يومئذ خطاباً عظيم الشأن اتهم فيه الوزارة بالضعف والهرب من المسؤولية وقال لرئيسها في ختام خطابه « لا تتكلم هكذا فليس يمثل هذا الكلام يتحدثون عن فرنسا » وقد كاد جمبتا ينجح في حمل الحكومة على اتخاذ سياسة عملية على شيء من النشاط والسداد ولكن كليمنسو عمد الى مناورة تمكن بهامن تأجيل المناقشة الى جلسة أخرى واسوء حظ مصر لم يستطع جمبتا الحضور في الجلسة التالية يوم ١٩ يولييه لسبب وفاة والدته فجلا الجو لكليمنسو وسادت سياسة الابتعاد والضعف

## التخلص من فرنسا

ولما استقر رأى فرسينيه على التدخل أخيراً لحماية قناة السويس وطلب من المجلس فتح اعتماد صغير لذلك تصدى له كليمنسو بخطابه المشهور الذي قاوم فيه هذا العمل أشد مقاومة واستطاع بمهارته السياسية ان يجتذب اليه المجلس فرفض النواب بأغلبية عظمى (٤١٦ ضد ٧٠) الموافقة على هذه الاعتمادات فكان هذا القرار ضربة قاضية على السياسة الفرنسية في الشرق وسقطت على أثره وزارة فرسينيه فقالت الطان يوم سقوطها « لسنا الآن حيال أزمة وزارية وانما نحن حيال أزمة تتعلق بتاريخنا الوطني » وقالت أيضاً « أن فرنسا أنت امرأة هو أشبه الأشياء بالافلاس ومثلها مثل الذي شعر بحاجة الى تسوية حساباته لينفض يده من كل عمل وما هذا الموقف الا موقف ذلة يؤلم الذين يقدرون معنى الشرف الوطني »

ولكن فرنسا لم تخسر الصفقة وحدها بل خسرت مصر أيضا في هذا الموقف عاملا كبيرا من عوامل نجاحها وأصبح الطريق مفتوحا أمام إنجلترا لأنها تخصصت من أكبر منافس لها ولم يبق أمامها الا ايطاليا وتركيا فتحوات نحوها بجيوشها السياسية وبناوراتها والأعيانها وجميع معدات الخداع التي ألفت استخدامها

وسنشرح هذه الحوادث فيما يلي مرددين ما قاله المجاهدون من قبلنا في سبيل استقلالهم وهو

« ان الكتاب التاريخي لتلك الايام المحزنة سيظل مفتوحا أمام أعيننا ولقد قرأنا صحفه بكل شغف وقلوبنا تكاد تنفطر حزنا فرأيناه يقول لرجال الغد في كل سطر من سطورهِ « لا تنسوا أبداً »

بعد التخلص من فرنسا

كانت السياسة الانجليزية ترمي الى الانفراد بالعمل في مصر ولذلك تالقت بالارتياح والسرور قرار مجلس النواب الفرنسي الذي قضى برفض الاعتمادات المالية التي طلبها المسيو فرسينيه ومقدارها ١٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ فرنك وقد كانت هذه الاعتمادات مخصصة لحماية قناة السويس كما شرحنا ذلك فيما تقدم

ومن غريب المصادفات انه في الوقت الذي رفض فيه مجلس نواب فرنسا هذه الاعتمادات كان مجلس عموم إنجلترا يتناقش في اعتمادات اكبر شأننا من هذه بقصد تمكين الحكومة الانجليزية من اعداد المعدات الحربية التي تجعلها قادرة على التدخل في مصر وكان مجموع الاعتمادات المطلوبة ٢٣٣٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ جنيه انجليزي اي ٥٧٥٠٠٠٠٠٠٠ فرنك فلم يتردد

النواب الانجليز في التصديق عليها تاركين لحكومتهم الساطرة المطلقة  
في تقرير ما تراه واجبا في تلك الحوادث الخطيرة

حتى انه عند عرض هذه الاعتمادات كان المستر غلادستون غائبا  
فقام المستر تشيلدرس وزير الحربية وطلب الموافقة على ١٣٠٠٠٠٠٠ جنيه  
للافاق على الحملة العسكرية ولكن لم تكدمر بضع دقائق على هذا  
الطالب حتى عاد وزير الحربية الى الكلام قائلا انه اخطأ عند تلاوة الرقم  
المطلوب وانقص منه ما يونا من الجنيهات على ان حقيقة المبلغ هو  
٢٣٠٠٠٠٠٠ لا ١٣٠٠٠٠٠٠ فلم يتغير رأى المجلس بل وافق على الاعتماد  
كاه بنفس الحماسة التي كان أبدأها عند ما عرض عليه مبلغ أقل قيمة من  
المبلغ الاخير

هذه كانت روح النواب الانجليز وقتئذ وهي روح مناقضة تمام  
المناقضة لروح التي أظهرها نواب فرنسا والتي دلت على ان السياسة  
الفرنسية تريد ان تنفض يدها من مسألة مصر تاركة الجو خاليا لانجلترا  
ولم تستطع الصحف الانجليزية وقتئذ ان تخفي سرورها من خطة فرنسا  
فقاتل جريدة ستاندرد ان هذا القرار معناه ان فرنسا لا تريد أن يكون  
لها وجود في ميدان السياسة الشرقية وقالت الديلي تلغراف ان هذا القرار  
ينطوي على ان فرنسا تثق في انجلترا ثقة غير محدودة وان المصالح الفرنسية  
في مصر وفي قناة السويس يمكن ان يعهد بها الى ايدي الانجليز

أما جريدة التيمس فانها أخذت تكتب عن فرنسا بسخرية واستهزاء  
فقد كانت قبل هذه الحادثة بأيام قلائل تنصح للحكومة الانجليزية بيسط  
حمايتها على مصر في الحال فلما أصدر مجلس نواب فرنسا هذا القرار أخذت

تقول للفرنسيين « ان الانجليز متى أتموا مهمة التمدين في وادي النيل لا يترددون في دعوة حليفهم القديمة فرنسا الى الاشتراك معهم في الغنيمة » !!  
وكان هذا شأن الصحف الالمانية أيضا فانها أخذت تسخر من ضعف فرنسا ومن تخوفاتها وكتبت جريدة ناسيونال زيتونج وقتئذ مقالا ذهبت فيه الى تشبيهه فرنسا بمن يلقي نفسه في النهر خوفا من البلبال الذي يصيبه من المطر !!

وقد أرادت الحكومة الانجليزية ان تحجب عن العالم حقيقة أغراضها ولا سيما بعد ان خلا جو العمل لها فأخذ جلاستون يصرح بتصريحاته المشهورة التي يقول في بعضها « انه لا يرمى الا الى غرض خاص بل ينوى فقط اعادة الامن الى نصابه ثم عرض التسوية النهائية لمسألة مصر على المجموع الاوربي »

وقد كتب المشتغلون بمسألة مصر وقتئذ بما يفيد ان هذه التصريحات وأشباهاها لم يكن يراد بها الا خدر أعصاب الدول الاخرى وقال بعضهم اننا لو سلمنا جدلا بصدق جلاستون وبان هذه كانت نياته فان جلاستون لم يكن الوزارة الانجليزية كلها فقد لاحظ الكونت دوني « ان بعض الوزراء الانجليز وفي مقدمتهم المستر جوشن لم يخفوا غرضهم الذي يعملون على تحقيقه وهو بسط الحماية على مصر بعد استتباب الامن فيها وانه كان يخشى ان جلاستون وجرنيل لا يتمكنان الى النهاية من اتباع سياسة النزاهة التي كانا يعربان عنها امام بلادهما » (١)

---

(١) المستندات السياسية تاغراف الكونت دوني في ٣١ يولييه سنة ١٨٨٢

## التخلص من ايطاليا

تخاصمت إنجلترا من فرنسا قوات وجهها شطر ايطاليا وأخذت السياسة الانجليزية يعملون في الخفاء للتخلص من هذه الدولة أيضاً ولكن السياسة العلنية كانت على خلاف ذلك فقد عرضت إنجلترا على ايطاليا ان تشترك في حماية قناة السويس وبعد مباحثات ومناورات ومفاوضات أعلن السنيور منشيني « ان حكومة ايطاليا لا ترى محلاً لهذا التدخل ولا سيما بعد ما قبل الباب العالي دعوة المؤتمر لارسال تجريدة الى مصر على ان رفض ايطاليا لا يعد نهائياً وقد تعدل الحكومة فيما بعد عن هذا الرأي وتغير سياستها اذا كانت خطة تركيا المستقبلية تبرر هذا التغيير »

وقد علق المؤرخ بيوفيس في كتابه (الفرنسيين والانجليز بمصر) على هذا الحادث بقوله

« ان وزارة جلادستون ما كانت تتمنى بأى حال اشتراك ايطاليا معها ولا شك انها مادعتها لهذا الاشتراك الا من قبيل الشكل والصوره فقط ولاجل ان تظهر في مظهر المحاسنة لاوروبا »

ولقد كتب اللورد جرنفيل يوم علم بتنحي ايطاليا يقول « تلقيت من السنيور مينابري نبأ رفض ايطاليا الاشتراك في التدخل فلأني ذلك سروراً.

ولقد قننا بما كان واجبا وأظهرنا اننا كنا مستعدين لقبول شركاء»

هذه كانت خطة إنجلترا في حوادث مصرفى كانت ترمى الى التعمية وذو الرماد في العيون حتى لا يقال انها تتمسك بالانفراد في العمل ولكن امانيتها ومساعدتها كانت منصرفة لابعاد غيرها من الدول

ولا يخفى ان الخطأ الاول الذى مكن انجلترا من اتباع هذه السياسة يرجع الى فرنسا وضعف سياستها وقد شرحتنا حقيقة هذا الخطأ ومسئولية فرسينيه فيه ولكن الاخير يحاول أن يدافع عن سياسته فى كتابه الذى وضعه على المسألة المصرية وهذا الدفاع يتلخص فيما يلى :

« ان انجلترا لم تكن قد خطت الخطوة الحاسمة يوم أصدر مجلس النواب قراره برفض الاعتمادات وان تردد المجلس هو الذى فتح الطريق للسياسة الانجليزية وترك ميدان العمل حراً أمامها وقد كان فى استطاعة الوزارة التى خلفتني أن تفتح مسألة الاعتمادات من جديد لتتمكن من الاشتراك فى التدخل وليست هذه أول مرة رفضت فيها اعتمادات مقدمة من وزارة ثم تقرر قبولها عند تقديمها من وزارة أخرى ويكفى فى ذلك تغيير مبلغ الاعتمادات ولو تغييراً طفيفاً ولكن شيئاً من ذلك لم يقع لان الوزراء ظنوا انهم لا يحصلون على أغلبية تقررهم وقد كان مسيو دكارك (رئيس الوزارة الذى جاء بعد فرسينيه) اكثر تردداً وتحفظاً منى

على ان سياسة المانيا لها ضلع من المسؤولية فقد كان بسمرك بمثابة الحاكم المطلق فى القارة الأوروبية وكان يكفى أن يقول كلمة لتتوب فرنسا وانجلترا عن أوروبا فى التدخل فى مصر ولكنه لم يفعل والظاهر انه كان يفترض أن تدخل انجلترا وحدها فى مصر من شأنه إيجاد البغضاء بين الانجليز والفرنسيين ولكنه أساء الافتراض فقد كانت النتيجة ان انجلترا وفرنسا اقتربتا من بعضهما وبقيت انجلترا قابضة على مركز ممتاز يهدد مصالح المانيا كما يهدد مصالح الامم الأخرى »

هذه خلاصة دفاع فرسينيه عن سياسته والسكنه عاد في موضع آخر من كتابه فاعترف بأن إنجلترا خدعت العالم بسياستها ولم تبر بوعودها لانها قبل أن توجه حملتها الحربية وقبل ان تنتهك حرمة الاراضى المصرية أعلنت على ملأ من العالم بأسره ان تسوية المسألة المصرية نهائيا من حقوق أوروبا وقد أرادت بهذا الاعلان أن تضمن حياد الدول الأخرى وتنجو من المشاكل الدولية ومع ذلك فانه يعتبر عقداً ذا طرفين ولاشك ان عدم تنفيذه من قبل الانجليز يلحق الضرر بأروبا عامة وفرنسا خاصة

ونحن مع عدم تعرضنا لدفاع فرسينيه عن سياسته لا نرى بدأ من اثبات هذه الواقعة وهي ان سياسة إنجلترا في مصر كانت منذ البدء قائمة على الخداع والتمويه فهي سياسة باطلة من الوجهة القانونية الدوائية فضلا عما فيها من الاعتداء على حقوق شعب بأسره ولا جرم ان سياسة هذا شأنها لا يمكن ان يقام لها وزن من أية وجهة من الجهات فتح مصر في الاستقلال التام باق الى الابد ولا يمكن ان تؤثر فيه اعمال السياسة التي تنتهك حرمة الحق ولا تعتمد الاعلى الخداع والقوة



## التخلص من تركيا

تخلصت إنجلترا من فرنسا وايطاليا ولكن تركيا كانت باقية في الميدان وقد كان مؤتمر الاستانة قرر دعوتها لقمع الفتنة بارسال تجريدة الى مصر وأبلغها هذه الدعوة في منتصف شهر يوليه وبعد تردد وتسويق

أرسل الباب العالي جوابه على هذه الدعوة في ٢٨ يولييه معلنا قبول ارسال جنود الى مصر

ولقد ذهب كثير من الساسة والمؤرخين الى ان تركيا لو كانت تمكنت من ارسال الجنود في الوقت المناسب لما استطاعت السياسة الانجليزية ان تثبت اقدمها في مصر وكانت المسألة المصرية سارت في طريق غير الطريق الذي انتهجته ولكن عدم ارسال هذه التجريدة هو الذي أجهز على بقية العقبات التي كانت تسد الطريق في وجه السياسة الانجليزية وجعل الجو خاليا امام إنجلترا وحدها فقد كانت أوروبا تعتقد ان قيام تركيا بهذه المهمة يحول دون انفراد إنجلترا بالتدخل فتبقى مسألة مصر مطروحة على بساط البحث ولا سيما ان تدخل تركيا في قمع الفتنة لم يكن آتيا من تلقاء نفسها وانما كان بتكليف من أوروبا فهو عمل دولي وان كان القائم به دولة واحدة

فعلى من تقع المسؤولية المترتبة على عدم تنفيذ قرار المؤتمر؟ هذا سؤال اختلف الكتاب في الاجابة عليه لان الحوادث التي وقعت في ذلك الوقت كانت محوطة بكثير من الابهام والغموض

وقد كتب بعض المؤرخين فقال ان تركيا كانت مصممة تصميا أكيدا على تنفيذ هذا القرار وانكسرتهم لم تجد مالا لذلك وحاولت عبثا ان تحصل على قرض بمئة الف جنيه فلم تعثر على من يقترضها وشلت حركتها (١) على ان بعض المؤرخين الاخرين يتهمون تركيا بأنها كانت مضطربة

---

(١) نقل الاستاذ كوشري هذه الواقعة عن المستندات الرسمية في تلغراف

أرسله سفير فرنسا في تركيا الى حكومته في اول اغسطس سنة ١٨٨٢

السياسة مترددة في اعمالها فلم تستطع أن تستفيد من هذه الفرصة للمحافظة على استقلال مصر

ويقول فريق ثالث بأن هذا الاضطراب في السياسة ما كان يكفي وحده للحياولة دون تنفيذ قرار المؤتمر لولا الأعباء السياسية الانجليزية ومناوراتها وأساليب خداعها فقد خشيت إنجلترا عاقبة ارسال التجريدة العثمانية وتيقنت ان هذا الارسال معناه القضاء على المطامع الاستعمارية الانجليزية وضرورة الجلاء عن مصر ورد استقلالها اليها فسعت بجميع مجهوداتها لمنع نزول الجنود العثمانية الى الاراضي المصرية

وقد تولى اللورد دوفرين هذه المهمة وهو الذي كان يفاوض حكومة الباب العالي في شروط ارسال هذه البعثة فأخذت تشدد في وضع هذه الشروط ويسوف في المفاوضات ويماطل حتى فات الوقت ولقد كان في مقدمة الطلبات التي طلبتها إنجلترا بلسان اللورد دوفرين أن يعلن البالي العالي عصيان عرابي فسرعان ما دعت الحكومة التركية لاجابة هذا الطلب فاصدر الباب العالي منشورا باعتبار عرابي عاصيا وقد استفادت السياسة الانجليزية من هذا المنشور دون ان يجنى الباب العالي منه أية ثمرة لان تجريدته لم ترسل

وبعد صدور هذا المنشور اخذت المفاوضات تجرى بشأن شروط هذه التجريدة فعرضت إنجلترا على الباب العالي اتفاقا خاصا هذه مواده «اولا : ينبغي ان تكون التجريدة العثمانية مؤلفة من ستة آلاف جندي وان لا يضيف الباب العالي اليها عدداً آخر الا بخبرة إنجلترا والاتفاق

معها على الزيادة (ثانيا) يجب أن يكون حلول الجنود العثمانية في رشيد أو أبي قير أو دمياط وان يكون خروجهم الى المواقع التي تدعى اليها من احد هذه الشغور (ثالثا) يكون جلاء الجيشين الانجليزى والعثمانى عن وادى النيل فى زمن واحد (رابعا) لايقوم الجيشان بالاعمال الحربية الا بعد اجماع القائدين العاملين على ما يجب ان يكون موضع العمل (خامسا) يجب ان ينضم الى الجيش العثمانى ضباط من أركان حرب الانجليز والى الجيش الانجليزى ضباط من أركان حرب العثمانيين »

وقد عارض الباب العالى فى هذه الشروط ولاسيما البند الثانى الخاص بنزول الجنود العثمانية فى موانئ مخصوصة وتحديد خروجهم الى الواقعة التى يدعون اليها واعتبر ذلك بمثابة جعل الجيش العثمانى تحت تصرف الجيش الانجليزى وألح سعيد باشا فى ان يكون نزول الجنود العثمانية بشغور الاسكندرية وبورسعيد والسويس فأصر الانجليز على تنفيذ شروطهم وفى خلال ذلك كانت الصحف الانجليزية تعارض أشد المعارضة فى اشتراك تركيا وظلت المخابرات بين اللورد دفرين والباب العالى تسير ببطء متعمد وكانت تركيا قد أرسلت جزءا من التجريفة الى جزيرة كريت ولكن الاوامر لم تصدر اليها بالسفر الى مصر لسبب الخلاف الذى وقع مع انجلترا وكانت السياسة الانجليزية تعمل بجد ونشاط فى اثناء هذه الفترة حتى تصل الى أغراضها قبل الاتفاق مع تركيا وقد نجحت هذه السياسة لسوء حظ مصر ووقعت بسرعة تلك الحوادث المحزنة المعروفة التى انتهت بواقعة النيل الكبير

وقد كتب المؤرخ (اشيل بيوفيس) فى هذه المسألة يقول « ان

الشكوك حامت كثيرا في أوروبا حول اللورد دفرين وقد اتهم بأنه  
ماطل في المفاوضات ليمنع الاليات التركية من النزول في مصر حيث كان  
يمكنها عرقلة حركات الجنرال ولسلي ومقاومة اطماع انجلترا بعد ذلك «  
ومن المضحك المبكى ان اذاعة انباء هذه الواقعة كانت معسوبة  
بنيا آخر هو ان الاتفاق بين تركيا وانجلترا على ارسال التجريدة الى مصر  
قد تم وان مندوبي الدولتين وقعا هذا الاتفاق !!!

ولم يخف على أحد وقتئذ سبب قبول انجلترا التوقيع في مثل ذلك  
الظرف فقد اعتب هذا ان اللورد جرنفيل ارسل الى اللورد دفرين تاغرافا  
يقول فيه « انه نظرا للاستيلاء على التل الكبير واسرعة خضوع العصاة  
المصريين خضوعا تاما فان حكومة جلالة الملك تفكر في بدء سحب  
جنودها من مصر بعد قليل من الزمن وهذه الحكومة مع تقديرها  
ما فعله السلطان من نشر بلاغ ضد عرابي ترى انه لم تعد هناك حاجة  
لارسال جنود عثمانية الى مصر لان الضرورة التي كانت تقضى بذلك  
قد انتهت » وكان ذلك في ١٦ سبتمبر أي بعد دخول القاهرة بيومين وقد  
رد الباب العالي على هذا التلغراف في ٢٥ سبتمبر راجيا من اللورد دفرين  
ان ينبئه بالزمن الذي سيتم فيه جلاء الجنود الانجليزية وفاقا لوعده اللورد  
جرنفيل ولكن تركيا لم تتلق جوابا على هذا السؤال بل بقيت الجنود  
الانجليزية محتلة مصر وعرفت تركيا كما عرف العالم ان السياسة الانجليزية  
كانت تعبت بالجميع لتنفيذ اغراضها الاستعمارية وان هذه الوعود وتلك  
العهود ماهي الا قصاصات ورق لا تتردد السياسة في تناسيها وتمزيقها  
مادامت ليس هناك قوة ترغمها على تنفيذها

## التخلص من المؤتمرات

وفي خلال هذه الحوادث الخطيرة كانت هناك بارقة من الأمل في تدخل الدول ففي ٢ أغسطس اجتمع مؤتمر الاستانة ونظر في اقتراح قدمه المندوب الإيطالي بقصد قيام الدول بحماية قناة السويس فقبلته ألمانيا والنمسا وروسيا وأظهر مندوبوا فرنسا وإنجلترا كثيراً من الانحفظ وبعد أيام قلائل أرسل اللورد جرنفيل تعليمات إلى اللورد دفرين بقبوله هذا الاقتراح مع تعليق القبول على شرط واحد وهو انه « في حالة الضرورة يكون من حق إنجلترا انزال جنود على أية نقطة من نقط القناة » وفي ١٠ أغسطس وافقت الدول ماعدا فرنسا على اقتراح إيطاليا معدلا بهذا الشرط وفي ١٤ منه وصل إلى مندوب فرنسا تعليمات من حكومته بالقبول فاجتمع المؤتمر يوم ١٤ أغسطس ليصدر قراراً بتنفيذ هذا الاقتراح وكان لابد من تصديق الدول بعد ذلك على قرار المؤتمر ولكن إنجلترا بادرت إلى احتلال بورسعيد والاسماعيلية في ٢٠ أغسطس قبل هذا التصديق فكان هذا العمل منها سبباً في عودة الدول إلى التردد وأرسل المسيو دكلارك رئيس وزارة فرنسا إلى سفيره في الاستانة يقول بأنه لم تعد ثمة فائدة ولا ملاءمة لمناقشة قرار بطلت الحاجة إليه وكان هذا آخر العهد بمؤتمر الاستانة الذي عقدت عشرة جلسات دون أن يصل إلى شيء لحل مسألة مصر وبذلك أسدل الستار على المسألة المصرية مؤقتاً ليعود إلى الارتفاع في ظروف أخرى

وقد كان من سوء حظنا ان انجلترا تخلصت من جميع منافسيها .  
تخلصت من فرنسا وايطاليا أولا ثم من تركيا ثانيا ثم من الدول جميعها  
بعد ذلك

## صوت مصر

ولكنها لم تتخلص لحسن الحظ من صوت مصر وجهادها فقد  
ظل هذا الصوت مرتفعاً ينادى في كل مكان برد حقوقه المغتصبة اليها  
وظلمت الامة تجاهد في سبيل استقلالها وحريتها وقد حاولت السياسة  
الانجليزية بمختلف الوسائل اسكات صوت مصر فباعث بالفشل ولم يفدها  
ما استخدمته من طرق الشدة والارهاق ولا ما اتبعته من سبيل الملاينة  
والخداعة والتغريب . لم يفد شيء من ذلك في تحويل البلاد عن غايتها بل  
استطاعت مصر ان تجتاز جميع الادوار التي مرت بها دون أن يصيب  
روحها القومية أى سوء وكانت الشدائد تزيد الحركة الوطنية المصرية  
قوة على قوتها حتى شهد لها العالم بالثبات والقوة وعلم الناس قاطبة ان  
أمة هذا شأنها لا ترضى بالنزول عن حقوقها ولا تقبل حكم الاجنبي الذي  
يلبس البلاد ثوب الذل والعار ويحول دون رقيها ونهضتها  
فاذا كانت الدول قد تخفت عن مسألتنا فاننا جديرون بأن ندافع عنها  
الى النهاية حتى نحلبها وفاق أغراضنا وحقوقنا المشروعة ولا بد أن نصل  
قريباً الى تحقيق ذلك بفضل الله وبقوة اتحادنا ولا شك ان السلام في  
الشرق لا يستقر مادامت مصر محرومة من التمتع بحقوقها ولن ترتفع راية  
هذا السلام الا اذا خفقت على مصر راية الحرية والاستقلال